ورشة للسوريات والسوريين عن التراث الثقافي السوري

"سوريا ضد النسيان"Syrien – Gegen das Vergessen

Rautenstrauch-Joest-Museum - Kulturen der Welt (Cäcilienstr 29 – 33, 50676 Köln)

23.08.22 14:00-18:00 Uhr und 24.08.22 10:00-18:00 Uhr

WORKSHOP „Zurück in die Zukunft:

Zukunftswerkstatt syrisches Kulturerbe“

ورشةٌ ضمن فعاليات معرض "سوريا ضد النسيان" في ألمانيا

تناقش التراث السوري المتنوع والإشكاليات التي تواجهه في العصر الحالي

في إطار نشاطات معرض "سوريا ضد النسيان"، المقام في مدينة كولن الألمانية، في متحف ثقافات العالم (راوتينشتراوس يويست)، أقيمت ورشةٌ لمناقشة التراث الثقافي السوري، بتنظيم كلٍّ من الأستاذين في جامعة كولن الألمانية، "قسم لغات العالم الإسلاماتي وثقافاته"، حسام الدين درويش وشتيفان ميليش، بالإضافة إلى منظم المعرض الأستاذ جبار عبد الله.

حضر الورشة، بشكلٍ مباشرٍ، عشرون سوريةً وسوريًّا، بالإضافة إلى ثمانية أشخاصٍ شاركوا في الورشة بشكلٍ افتراضيٍّ، حيث توزع المشاركون بين المغترب والداخل السوري.

وبعد جلسةٍ افتتاحيةٍ، تم فيها التعريف بالورشة وبالأشخاص المشاركين فيها، بدأت الورشة، التي استمرت لمدة يومين، بزيارة المعرض الذي يحتوي على قطعٍ أثريةٍ سوريةٍ تعود لحقبٍ تاريخيةٍ متنوعةٍ، تم جلبها للمعرض بالتنسيق بين عبد الله ومؤسساتٍ ألمانيةٍ وأوروبيةٍ. كما تضمن المعرض أزياءً وقطعًا تراثيةً لمختلف الفئات الإثنية والدينية السورية، بالإضافة إلى صورٍ تعكس الثقافة السورية الغنية والمتنوعة.

قدم المشاركون محاضراتٍ مختلفةً تتعلق بالوضع الحالي للتراث الثقافي السوري وأهمية توثيقه، مرورًا بأهمية مدينة معلولا التاريخية، والمضافات في جبل العرب بوصفها إرثًا ثقافيًّا، بالإضافة إلى التراث السوري الكردي، والتراث الثقافي الجولاني بأبعاده المتنوعة، الإثنية والطائفية والعشائرية. كما ألقوا الضوء، أيضًا، على ثقافة العمل التطوعي بين الماضي والحاضر، (مدينة السلمية) مثالًا، بالإضافة إلى أهمية اللغة العربية، بوصفها تراثًا ثقافيًّا. وكان هناك مشاركةٌ من الشمال السوري عن الأماكن الأثرية وحالها بعد قيام الثورة السورية والحرب التي تلتها، وتضمنت المشاركة العديد من الصور التوثيقية الحديثة لهذه الأماكن. ولم ينسَ المشاركون التراث الثقافي السوري الشفوي والمنقول، مثل التراث الغنائي الشعبي، والحكاية الشعبية السورية، والأعراس التقليدية في مدينة حوران، ودور الدراما في الثقافة السورية.

ما ميَّز هذه الورشة هو المناقشات التي تمت بين المشاركين السوريين على هامش المحاضرات، بالإضافة إلى المشاركة الألمانية من قبل أستاذ جامعة كولن ميليش الذي تكلم في البداية عن أن التراث يحمل في شقيه السلبي والإيجابي، واتخذ، مثالًا على ذلك، مدينة تدمر، التي تضم آثارًا لمملكةٍ سوريةٍ قديمةٍ، وتضم، في الوقت نفسه، سجنًا يحمل ذاكرةً مؤلمةً للعديد من السوريين. ورأى ميليش أنه من المهم أن يتحول السجن إلى مكانٍ للذاكرة ولتوثيق الجرائم، مثلما حصل مع المعتقلات النازية التي أصبحت جزءًا من الهوية الوطنية الألمانية، ولكن بوصفها تراثًا سلبيًّا. وتساءل "ما الذي يريد الجيل السوري الجديد أن يرث من ماضيه، وما الذي لا يريده؟"، مبينًا أن الجيل الجديد يجب أن يكون صاحب القرار في خصوص ما يريد أن يرثه أو لا يرثه من الأجيال السابقة.

ونوقشت، في الورشة، فكرة تحييد العديد من الثقافات السورية الإثنية الفرعية مثل السريانية والكردية والأرمنية والتركمانية وغيرها، لصالح القومية العربية، علمًا أن هذه الثقافات جزءٌ لا يتجزأ من الهوية السورية بشكلها المميز الحالي. وتمت الإشارة إلى عمليات النهب الذي تعرضت له الأماكن الأثرية بشكل لم يجرِ مثله في التاريخ مطلقًا، بمشاركة كل أطراف الحرب داخل سوريا، وإلى استخدام العديد من الأماكن الأثرية في سوريا، كأماكن للسكن من قبل النازحين السوريين، ظنًا منهم أنها كانت ستحميهم من القصف، لكنها تعرضت أيضًا لقصف الطائرات الروسية. وتناول النقاش تغيير البنى التحتية لهذه الأماكن، نتيجة استخدام مواد البناء الحديثة داخلها، بطريقةٍ عشوائيةٍ، بالإضافة إلى سرقة القطع الأثرية باستخدام وسائل عنيفةٍ ومدمرةٍ، مثل الجرافات، وهو ما عرَّض جزءًا كبيرًا منها للدمار، مثل موقع ماري. أما بالنسبة إلى القطع المسروقة المهربة إلى أوروبا، فمن الصعب إعادتها في الفترة الحالية، بسبب انقطاع العلاقات بين الاتحاد الأوروبي والنظام السوري، وهناك أماكن من أجل حفظها، لأنه يوجد قانون في اليونسكو من أجل إعادتها. كما أصبح تدمير التراث الثقافي جريمة حربٍ يعاقَب عليها، مثلها مثل جرائم الحرب ضد الإنسان.

وتم التطرق أيضا إلى لثقافة الكردية في سورية، حيث تم إطلاق أول صحيفةٍ كرديةٍ عام 1932 من دمشق، أي من عاصمةٍ عربيةٍ، بالأحرف اللاتينية، وكانت هذه ثورةً، بالنسبة إلى لصحافة الكرية، ولكن البعض ينتقد هذه الخطوة لأنها زادت التشظي بين الأكراد؛ لأن قسمًا كبيرًا منهم يكتب بالأحرف العربية. وفي عام 1957، تأسس أول حزبٍ كرديٍّ في سوريا، وتأسست معه، مجددًا، صحافةٌ كرديةٌ؛ لكن، في عهد البعث، انتهى أي شكلٍ من الصحافة الكردية. وفي السبعينيات، طبعت ثلاثة كتبٍ فقط، بشكلٍ سريٍّ، ليعود الانفتاح الكردي على باقي سوريا في عام 1991، حيث سُمِح بطباعة عدة كتبٍ كرديةٍ، ليعود الانغلاق من جديدٍ، ويتم منع التكلم باللغة الكردية، وحتى الغناء بها ضمن الأعراس.

وتم التشديد، في النقاشات، على أهمية التراث الثقافي الشفوي، والحفاظ عليه، عن طريق تحديث الأهازيج التراثية، أي نقلها بتصرفٍ، مع القليل من التغيير لتتلاءم مع العصر الحديث، ومن خلال العناية بالألحان التراثية السورية الجميلة من جبل العرب مرورًا بدمشق والجزيرة والساحل إلى حلب، إذ أنها الخيط الذي يربط الناس بالأرض التي ولدوا فيها، خاصةً أن العديد من هذه الأهازيج لم يُعرَف من ألَّفها ولحنها، ومن الممكن أن يكونوا أمهات السوريات والسوريين وجداتهم. والأمر نفسه في خصوص الحكايات الشعبية التي تعتبر ذاكرةً جمعيةً، خاصةً أنها تعكس الواقع الديني والبيئي والجغرافي للشعوب، مثل دمشق (قصص التجارة، والمال، والأعراس، والبيت الدمشقي) والساحل (البحر، والرزق، والجبل)، وتدمر (الصحراء، وحركة النجوم، والضيافة)... وغيرها.

واختُتمت الورشة باقتراحاتٍ عديدةٍ، كان من بينها نقل معرض "سوريا ضد النسيان"، إلى مدنٍ ألمانيةٍ وأوروبيةٍ أخرى، وتنظيم رحلاتٍ مدرسيةٍ لزيارته، ليتسنى للأطفال واليافعين السوريين، الذي لم يعرفوا الكثير عن ثقافتهم، معرفتها بشكلٍ أفضل. كما طُرِحت فكرة عقد المزيد من الندوات الثقافية التي يشارك فيها السوريات والسوريون للحفاظ على هذا الإرث الثقافي الغني.

لبنى عيسى